البيئة الحاضنة والظروف المهيئة للإرهاب فى مصر

هند فؤاد السيد*

سعت الدراسة إلى إلقاء الضوء على السياقات البنائية والعوامل المهيئة لتكوين بيئة حاضنة للتنظيمات الإرهابية، وذلك من خلال التعرف على مفهوم الإرهاب والتطرف والتطرف العنيف، والإشكاليات التى تتعلق بهما ومدى التقارب والاختلاف بينهما، ومن نطلق عليه إرهابيًا، وسمات الإرهابى الشخصية، وطبيعة وأنماط الفاعلين فى التنظيمات الإرهابية، كما رصدت الدراسة آليات جذب هذه التنظيمات للعناصر الجديدة، وتحليل أهم العوامل المهيئة لتكوين البيئة الحاضنة لهذه التنظيمات داخل المجتمع المصرى، وذلك مع مراعاة السياق المحلى وخصوصية المجتمع المصرى فى تكوين هذه الجماعات.

وقد توصلت الدراسة إلى أن جميع العوامل الاقتصادية والأيديولوجية والاجتماعية والثقافية والإعلامية وتتقاطع معها العوامل السياسية أسهمت فى تكوين الجماعات والتنظيمات الإرهابية داخل المجتمع المصرى.

الكلمات الدالة: البيئة الحاضنة– الإرهاب– مصر

مقدمة

على الرغم من أن ظاهرة التطرف والإرهاب تعد ظاهرة قديمة، فإن مخاطرها قد تزايدت بشدة خلال السنوات الماضية، فى ظل تصاعد ظاهرة العولمة، مما جعلها ظاهرة كونية غير مرتبطة بدين أو شعب أو عرق، وغير محصورة فى نطاق جغرافى محدد، وظهور سيولة فى الإرهاب الحديث مما يجعل من الصعب محاصرتها بشكل كامل، وبالتالى الحد من تداعياتها السلبية على أمن واستقرار الدول والمجتمعات، لا سيما فى ظل ما تتسم به تلك الظاهرة من تعقيد، بسبب تعدد أشكال التنظيمات والجماعات الإرهابية، واتساع نطاق نشاطها الجغرافى بشكل غير مسبوق، عقب نجاحها فى الوصول إلى مناطق جديدة لم تكن قد وصلت إليها من قبل. وهو ما جعل تلك الظاهرة تلعب دورًا واضحًا فى العلاقات الدولية، خاصة بعد ظهور تنظيم داعش

* أستاذ علم الاجتماع المساعد، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية.

على الساحة السورية والعراقية وإعلانه عن دولته المزعومة، مما أدى إلى ظهور العديد من التحالفات العسكرية الدولية لمواجهته، من أبرزها التحالف الدولى ضد داعش الذى أعلن عنه فى سبتمبر ٢٠١٤ هذا إلى جانب تدخل العديد من الأطراف الدولية فى سوريا على غرار إيران فضلا عن الولايات المتحدة الأمريكية بحجة مكافحة الإرهاب، وهو ما جعل العديد من المتابعين يرون أن ظهور داعش وتصاعد نشاطه قد أدى إلى إعادة تشكيل الخريطة السياسية فى منطقة الشرق الأوسط(١).

ويشير الواقع الدولى إلى أن ثمة عاملين أساسين كان لهما دور كبير فى تزايد الاهتمام بظاهرة الإرهاب على المستوى العالمى، أولهما: التطور الذى شهدته الظاهرة مع تصاعد اعتماد المجتمع الدولى على التكنولوجيا المتقدمة، حيث قام الإرهابيون باستغلال هذه التكنولوجيا فى عملياتهم الإرهابية التى انتشرت فى أنحاء المعمورة واكتسبت طابعا دوليا. أما الآخر: فيتمثل فى حقيقة أن ارتكاب العمليات الإرهابية لم يعد قاصرًا على الأفراد والجماعات فحسب، بل أصبح سلاحًا تستخدمه الدول فيما بينها كبديل للحروب التقليدية، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، فى الوقت الذى سعت فيه دول أخرى إلى استغلال هذه الظاهرة كغطاء للتدخل فى شئون الدول الأخرى وانتهاك سيادتها تحت دعوى مكافحة الإرهاب(٢).

ومن اللافت للنظر أن تحليل الأسباب الجذرية للتطرف والإرهاب قد دفع العديد من الحكومات إلى النظر فيما هو أبعد من العوامل التقليدية لانتشار الإرهاب مثل العوامل الاقتصادية والاجتماعية والأمنية، إلى العمل على تجفيف منابع الإرهاب والحد من انتشاره عبر ركيزتين أساسيتن، الأولى: هى الوقاية الفكرية التى تعتمد على إعادة طرح المفاهيم التى سادت بين الجماعات المتطرفة، والثانية، هى المعالجة وإقناع الشباب والمجتمع بالصورة الصحيحة لهذه المفاهيم والبعيدة تمامًا عن التطرف الفكرى وهى تنصب غالبا على الشباب الذى اعتنق الأفكار المتطرفة حتى يتراجع

عنها ويعود إلى الوسطية والاعتدال، وذلك من خلال مناقشته بالحجة والبرهان حتى يتخلى عن معتقداته الخاطئة[٣].

غير أن هناك صعوبات تواجه تحقيق هذه الأهداف، تتمثل فى تعدد أفكار الجماعات المتطرفة على الساحة، بداية من جماعة الإخوان الإرهابية ومرورًا بالتنظيمات الكبرى العابرة للقارات (القاعدة– داعش) وانتهاء بالجماعات السلفية والجماعات المحلية، هذا إلى جانب بروز أشكال جديدة من الإرهاب لم تكن موجودة من قبل، على غرار الإرهاب العرقى والقبلى الذى ينتشر بشكل ملحوظ فى منطقة الساحل الإفريقى، إضافة إلى بروز أنماط جديدة من الإرهاب على غرار الإرهاب الإلكترونى الذى أصبح يلحق الضرر بشكل أوسع من الإرهاب التقليدى، خاصة وأنه يوفر كل الإمكانيات اللازمة للجماعات الإرهابية، مما يتسنى لها تحقيق أهدافها بسهولة. ومما زاد من صعوبة التعامل مع تلك الظاهرة أنها لم تعد مقتصرة على ما يطلق عليه "التطرف الإسلامى" المنسوبة غالبا إلى منطقة الشرق الأوسط، حيث شهدت السنوات الأخيرة تصاعد ملحوظ فى ظاهرة التطرف الغربى، والذى تحول فى أوقات كثيرة إلى عنف مسلح سواء كان ضد المسلمين على غرار قيام أحد المتطرفين اليمنين بالهجوم على أحد المساجد فى نيوزلندا مارس ٢٠١٩ مما أسفر عن مقتل عشرات المصلين، أو ضد الأقليات أو المناهضين لهذا النوع من التطرف[٤].

وبالتالى أصبحت ظاهرة التطرف والإرهاب من أهم الإشكاليات التى تواجه عالمنا المعاصر، وقد زاد من تأثير هذه الظاهرة السرعة والزخم الذى تتناول به وسائل الإعلام المختلفة مثل هذه النوعية من الجرائم التى باتت تهدد الإنسانية جمعاء، هذا بجانب عدم التحديد والخلط الواضح بين مفهومى التطرف والإرهاب الذى زاد من الأمر صعوبة عند التعامل معها، خاصة وأن مفهوم التطرف أوسع من مفهوم الإرهاب فهو يعد القاعدة التى ينطلق منها الإرهاب، لذا يمكن القول إن كل إرهابى هو متطرف، والعكس غير صحيح، وهو ما يتطلب تحديدًا دقيقًا للمفاهيم حتى يمكن

الوقوف على مدى خطورة كل تنظيم على حدة، لا سيما بعد أن أصبح العديد منها عابرًا للحدود.

وانطلاقًا من أهمية ظاهرة التطرف والإرهاب والتى ظهرت فى العديد من البلدان ومنها المجتمع المصرى، والتحديات التى أشرنا إليها فى المقدمة التى تواجه المجتمعات فى التعامل مع تعدد التنظيمات الإرهابية واختلاف أهدافها، ومع التطور التكنولوجى الهائل وظهور الإرهاب الخفى الإلكترونى عبر الشبكة العنكبوتية وغيرها من المستجدات التى شكلت تحديات بالغة فى مواجهة تلك التنظيمات، ونظرا لما يتميز به المجتمع المصرى من خصوصية فى الموقع الجغرافى، والقوة العسكرية، والحدود المختلفة له، وما يتمتع به من مكانة على المستوى العربى والإقليمى والعالمى جميعها عوامل أضفت خصوصية لنشأة التنظيمات الإرهابية داخل المجتمع، وتغير أهداف تلك التنظيمات، والتنوع والتطور فى سياسات التنظيمات والتعامل مع الدولة المصرية، وخصوصية البيئة الحاضنة لهذه التنظيمات فى المجتمع المصرى. الأمر الذى يثير عدة تساؤلات حول إشكالية المفهوم ومن نطلق عليه تعريف الإرهابى؟ مدى قدرة هذه التنظيمات على جذب الأفراد من المجتمع للانضمام إليها؟ وما طبيعة وسمات المنخرطين والمنضمين لهذه التنظيمات؟ وما العوامل المهيئة لظهور هذه التنظيمات؟ والسياقات البنائية المختلفة والبيئة الحاضنة التى تحتويهم؟

وتسعى الدراسة إلى محاولة الإجابة على هذه التساؤلات بغية الوصول للعوامل التى تجذب العناصر الإرهابية للانضمام لتلك التنظيمات وسماتهم الشخصية، والظروف المهيئة لظهورها، وأنواع البيئات الحاضنة لها، وذلك على النحو الآتى:

أولًا: **إشكالية المفهوم**: **من نطلق عليه إرهابى**؟

١- مفهوم الإرهاب:

يعد مفهوم الإرهاب مفهوما جدليا يتنازع عليه بصفة دائمة لأسباب سياسية بين مختلف الدول، فارتكاب أعمال عنف لغايات سياسية كانت دائما وسيلة بعض

الجماعات أو الدول للهيمنة فى مواجهة آخرين. غير أن تحديد ما إذا كان استخدام العنف شرعيا أم غير شرعى، قانونيا أم غير قانونى كان دائما مثارًا للجدل بين الدول.

لذا، فإن الوصول إلى تعريف موحد للإرهاب بشكل نظرى بات من الصعوبة بمكان إن لم يكن مستحيلا رغم الجهود المبذولة فى هذا الصدد. فتاريخيًا مفهوم الإرهاب يستخدم لوصم الآخر الذى يسعى عبر وسائل عنيفة لتأكيد هيمنته ومن ثم فلم يكن وصما للعنف بصفة عامة بقدر ما كان وصمًا للعنف الذى يمارسه الآخر الذى لا يتفق معنا فى المصلحة. ومن ثم، اختلفت الدول فيما بينها فى توصيف الأعمال العنيفة بالإرهابية، لأنه ببساطة يمكن أن يكون "الإرهابى فى نظر البعض هو مقاتل من أجل الحرية فى نظر البعض الآخر". ولعل أشهر مثال على هذا الأمر كان استقبال الرئيس الأمريكى رونالد ريجان بعض قادة "المجاهدين الأفغان" فى البيت الأبيض عام ١٩٨٣، خلال الحرب السوفيتية على أفغانستان، حيث اعتبرهم مقاتلين من أجل الحرية وشبههم بالآباء المؤسسين للولايات المتحدة الأمريكية(٥).

استخدم لفظ "**إرهاب**" أو "**ترهيب**" فى الثقافة الغربية للمرة الأولى لوصف أحداث العنف التى صاحبت الثورة الفرنسية، واللجوء للعنف من أجل إقصاء وقتل أعداء "القوى الثورية" خلال عامى ١٧٩٣ و ١٧٩٤. ومن ثم، أصبح المصطلح يتم تداوله باعتباره "إشاعة العنف بقصد الترهيب وفرض خيار سياسى أو حكم بالقوة من جانب جهة منظمة"(٦).

ومن ثم نشأ سريعا الجدل المرتبط بمفهوم الإرهاب، لأنه يدور فى فلك التسييس، إذ اختلطت مصطلحات "الإرهاب" و"المقاومة أو التحرر الوطنى"، حيث اعتبر أن أحدهما هو الوجه الآخر للمفهوم الثانى، ولكن الأمر يتوقف على من يصف هذا الفعل العنيف وليس الفعل ذاته. فيما يتم اعتبار أن المنتصر هو من يكتب التاريخ، وبالتالى هو من يحدد من كان إرهابيا ومن كان مقاتلًا من أجل الحرية أو مقاوما، وهو ما ينطبق أيضا على عناصر المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال الألمانى النازى

لفرنسا خلال الحرب العالمية الثانية. إذ كان يتم وصفهم بالإرهابيين من جانب السلطة النازية المحتلة، ولكن تبين فيما بعد أنهم كانوا يقاتلون من أجل التحرر الوطنى. وتكررت هذه المعضلة فى سياقات مختلفة كثيرة، من ضمنها سياق التحرر الوطنى الجزائرى من الاستعمار الفرنسى، وأيضا التحرر الوطنى الفلسطينى من الاحتلال الإسرائيلى، وسياق مقاومة الفصل العنصرى فى جنوب أفريقيا، وغيرها من السياقات المشابهة(٧).

ونظرًا للتسييس المطول لاستخدام مصطلح "الإرهاب"، تأخرت الجهود الأكاديمية، ومن ورائها الجهود الدبلوماسية والدولية لتحديد كنه الإرهاب، ومن ثم القيام بالتعاون من أجل مكافحته، ومنع إمداده بالتمويل والدعم، وعلى أية حال يعتبر التعريف الأكثر استقرارا لمصطلح الإرهاب هو "استخدام العنف أو التهديد باستخدامه بقصد إشاعة الترويع بين الناس، وبهدف تحقيق غاية سياسية"، فيما عرفته الفقرة الثانية من المادة الأولى للاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب بأنه "كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أيا كانت بواعثه أو أغراضه ويقع تنفيذا لمشروع إجرامى، فردى أو جماعى، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم وإيذائهم أو تعريض حياتهم وحرياتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة، أو احتلالها أو الاستيلاء عليها، أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر"(٨). وقد تبين عقب أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ أن غياب الاتفاق حول تعريف الإرهاب يجب ألا يظل قائما من أجل اتخاذ خطوات أكثر جدية على المستوى الدولى لمكافحته، أو بمعنى آخر، بدا أن الدول الغربية التى تحتكر مبادرة الفعل الدولى أصبحت متضررة بشكل مباشر جراء غياب تعريف موحد للإرهاب بما يفوت الفرصة على توحيد جهود مكافحته.

٢- مفهوما التطرف أو التطرف العنيف:

رغم الاستخدام المستمر لمصطلح الإرهاب فى وصف أعمال العنف ذات الطبيعة الترويعية ضد المدنيين، وضد سلطات الدولة، فإن الانتقال إلى مصطلح أقل خلافية كان أمرا حتميا، خاصة مع أهمية توسيع قاعدة مكافحة الإرهاب، سواء على المستوى الدولى أو المحلى. من هنا، برز مصطلح التطرف العنيف ليتحرر من الدلالات الحتمية التى كانت مرتبطة بمصطلح الإرهاب، ويتعامل مع الفعل العنيف بشكل موضوعى بعيدًا عن الوصم المرتبط بالتفضيلات السياسية. بناء على هذا، يرتبط "التطرف العنيف" بشكل أساسى "باعتناق أيديولوجية أو مجموعة من الأفكار والمعتقدات التى تعلى من جماعة عرقية أو دينية أو إثنية أو سياسية على حساب الجماعات الأخرى، وتستخدم العنف من أجل ضمان هيمنة هذه المجموعة وإقصاء وإلغاء المجموعات الأخرى". بينما يضاف فى بعض الأحيان إلى هذا التعريف "هدف فرض مؤسسات وأنظمة حكم تضمن الهيمنة الشمولية للجماعة المفضلة على المدى الطويل، وليس مجرد الإقصاء والتهميش والإلغاء اللحظى للجماعات الأخرى"، لذا لكى يتم تصنيف جماعة ما بأنها تنتمى لتيار التطرف العنيف لابد أن تنطبق عليها ثلاثة معايير أساسية: أولها، أنها تعتنق أفكارا متطرفة تتصف بالشمولية والإقصاء وعدم التسامح مع المختلف، وتسعى لتجريده من حقوقه الأساسية. ثانيها، أن لديها مشروعًا متضادًا مع السلطة القائمة وتتحدى وجودها وتعمل على تدميرها بشكل مباشر لكى تحل محلها بمشروعها المغاير. ثالثها، أن هذا المعتقد وهذا المشروع ليس مجرد أفكار معنوية أو أحكام قيمية، كل مشروع يتم فرضه عبر القوة المسلحة وممارسة العنف. من هنا، يبدو لنا اتصال حلقات التطرف مع التطرف العنيف. فالنقطتان الأولى والثانية تجتمعان كمعايير لتصنيف الجماعات المتطرفة، ولكن عندما تجتمع معهما النقطة الثالثة تنتقل هذه الأفكار إلى العنف، ومن ثم تنتقل من التطرف إلى التطرف العنيف[٩].

يتقاطع استخدام المصطلحين، الإرهاب والتطرف العنيف، لوصف نفس الظاهرة. ولكن بصفة عامة يعتبر "التطرف العنيف" أوسع من مفهوم الإرهاب وأكثر انضباطا منه، لأنه يهتم بوصف الظاهرة دون وصمها أو تحميلها بدلالات أكثر مما ينبغى. فيما يعتبر البعض أن "التطرف العنيف" هو الوصف العلمى، وأن الإرهاب هو الوصف السياسى، لكن المصطلحين يشيران للظاهرة نفسها. بينما يذهب فريق آخر إلى اعتبار أن مصطلح "التطرف العنيف" أشمل من مصطلح الإرهاب، لأنه يتضمن كل المجموعات التى تقصى الآخر وتعمل على إلغائه بشكل عنيف، وليس فقط المجموعات التى تحمل أيديولوجية متطرفة متكاملة تفرضها فيكفى أن تقصى الآخر بشكل عنيف لكى تدخل فى دائرة التطرف العنيف، ولا يشترط أن يحمل فعل العنف مشروعا متكاملا أو شاملا فقد يكون عملا تخريبيًا منعزلا لا يعقبه سلسلة أعمال عنيفة أخرى. وهو ما يجعل استخدام مصطلح "التطرف العنيف" أكثر دقة عند وصف الهجمات العنيفة لليمين المتطرف، واليسار المتطرف، وجرائم الكراهية العنصرية والتطرف الإسلامى على حد سواء بخلاف مصطلح الإرهاب الذى اكتسب دلالة خاصة تتعلق فقط بالتنظيمات الإسلامية الجهادية، بينما يرى فريق آخر أن استخدام المصطلح الأنسب يعتمد على السياق المحلى. فقد يرى المختصون فى سياق معين أن استخدام مصطلح الإرهاب قد يكون أكثر دقة من مصطلح التطرف العنيف لما يحمله المصطلح من دلالات تاريخية معينة تجعل لاستخدامه مكانة أكبر فى السياق المحلى، وتعزز من فرص التعاون المجتمعى للقضاء عليه بشكل شامل. فيما يرى مختصون آخرون أن استخدام مصطلح "مكافحة الإرهاب" يرتبط بشكل أساسى بالعمليات العسكرية التى يتم إطلاقها للقضاء عليه وتطويقه وملاحقة ممولية وداعميه ومنفذى الهجمات الإرهابية، أى المكافحة الصلبة للإرهاب، بينما استخدام مواجهة التطرف العنيف يرتبط بسلسلة من العمليات المجتمعية التى تجرى من أجل إنهائه

عبر المشاركة المجتمعية لجميع المؤسسات الرسمية والمجتمعية المعنية بمواجهته، أى يضم المواجهة الناعمة، وليس فقط المكافحة الصلبة[١٠].

بصفة عامة، يمكن القول إنه فى ظل غياب تعريف شامل لكلا المصطلحين، وتعدد وجهات النظر إزائهما، يبقى للسياق المحلى أثر مهم فى تسمية الظاهرة والدلالات التى تحملها هذه التسمية وفقًا لخصوصية كل سياق. فى المقابل، فإن الاتجاه لترجيح مصطلح "التطرف العنيف" هو فى النهاية محاولة لتوسيع قاعدة الاتفاق الدولى حول رفض هذه الظاهرة، ومن ثم توحيد الجهود الدولية لمكافحتها.

فى ضوء ما سبق يتحدد المفهوم الإجرائى للإرهابى بأنه: "كل من يسلك سلوكا يخالف المعايير الاجتماعية والقيم الانضباطية الأخلاقية، ويمارس العنف لفرض آرائه أو معتقداته على المجتمع ويهدد ويروع قاطنيه".

ثانياً: السمات الشخصية وطبيعة وأنماط الفاعلين فى التنظيمات الإرهابية

تنوعت وتعددت السمات الشخصية والاجتماعية للأفراد المنضمين للتنظيمات الإرهابية، وذلك وفقا للدور الذى يقومون به، والتى تحدد طبيعة وأنماط الفاعلين داخل هذه التنظيمات فهناك من يمارس دور "أمير أو قائد التنظيم، مفتى التنظيم، المسئول عن التدريب والتسليح، المفكر والمخطط للعمليات الإرهابية، المنفذ للهجمات الإرهابية، المراسلين وغيرها من الأدوار التى يقوم بها الأفراد داخل هذه التنظيمات"، وتطورت تلك الأدوار وفقا للتطور التاريخى للجماعات والتنظيمات الإرهابية والتى حدث بها أنواع من التفكك والانقسامات فلم يعد الشكل التقليدى للتنظيم سائدا فى الوقت الراهن، وبات التنظيم يقتصر على عدد من الأفراد "الذئاب المنفردة" الذين ينفصلون عن التنظيم الكبير ويقوموا بتكوين جماعة مستقلة وبالتالى قد يقوم أفرادها

بالعديد من الأدوار لقلة عددهم ولتوجههم المختلف عن الجماعة الأم ولتعقد سماتهم الشخصية المرتبطة بالتطرف والتوجه للعنف الشديد.

ويلعب السياق المحلى وخصوصية المجتمع الذى تنشأ فيه هذه التنظيمات، دورًا فى تشكيل البناءات والسمات الشخصية لعناصر التنظيم، فللبيئة أثر كبير فى تكوين القيم والمعتقدات وشبكة العلاقات، والتوجه الفكرى والعقائدى، هذا بجانب الخبرات السابقة والحرمان النسبى الذى يؤثر فى بنية وسمات الشخص المنخرط فى التنظيمات الإرهابية. البيئة الصحراوية والبدوية تختلف عن البيئة الحضرية فى التكوين والسمات الشخصية.

وعلى الرغم من التعدد والتنوع فى السمات الشخصية للعناصر الإرهابية فإن هناك سمات شخصية واجتماعية مشتركة بين بعض العناصر التى تنضم للتنظيمات والجماعات الإرهابية، حيث ركزت العديد من الدراسات النفسية والاجتماعية على دراسة الشخصية الإرهابية، وظهرت نظريات عديدة حاولت تقديم تفسير لها مثل "نظريات التحليل النفسى نظرية فرويد Freud، ونظرية السمات كنظرية ألبورت Alport، ونظرية الأبعاد كنظرية أيزنك Eysenck" وغيرها من النظريات[١١]، والتى استقرت كما أشرنا إلى العديد من العوامل المؤثرة فى تكوين بنية وطبيعة السمات الشخصية للعناصر الإرهابية مثل "البيئة، والتعليم، والعقيدة، والخبرات السابقة، والتنشئة، ومعدلات الأمان، أو الحرمان" التى تعرض لها وغيرها من العوامل. لكن فى المجمل يمكن رصد بعض السمات المشتركة بين العناصر الإرهابية، كالآتى [١٢]:

- الميل للعدوان والعنف والقتل نظرا لتحكم قوة غريزة الموت فى الأفراد.
- الميل إلى معاداة المجتمع وعدم القدرة على التطبع مع القيم الاجتماعية، والعجز عن الانتماء الحقيقى لأفراده وجماعاته.
- حب التعلم والتثقيف والوعى بمجريات الأمور المحيطة.

- الشخصية المضطربة نفسيا، التى تتسم بصفة الأنانية والعدوانية، والعجز عن الشعور بالذنب، وتبلد المشاعر، وإظهار تبريرات مقبولة لسلوكهم لعدم الاعتذار عنها.
- الشخصية العصابية الانبساطية العدوانية غير المستقرة، تتميز بالضعف فى الجانب الأخلاقى والقيمى.
- التنشئة فى نسق من القيم يشجع ويحفز على الأعمال العدوانية والأفعال الإرهابية.
- فقدان الأمان والاطمئنان فى المجتمع، وعدم القدرة على التكيف مع النظام القيمى والأخلاقى للمجتمع ومعاداته.
- الميل لحب السيطرة والتحكم فى الأفراد المحيطة، والسعى الدائم لفرض القرارات والأوامر، وعدم قبول الرأى الآخر.
- الإحساس الدائم بالظلم والقهر، والحقد على باقى عناصر المجتمع، والميل للوحدة والانعزالية.
- الشعور الدائم بالخوف من الأفراد والمجتمع والاستسلام والخنوع للأقوى منهم، وبالتالى تنشأ لديهم مشاعر الانتقام من الأفراد والمجتمع.
- الشعور الدائم بالتميز وسيطرة الأنا، مما يسهل جذبها من خلال التفخيم والتعظيم وإحساسها الدائم بالتفرد.
- الميل إلى تعظيم المنافع الاقتصادية وحب الشهرة والمال.

ويشير العديد من الدراسات الاجتماعية والنفسية إلى أن حالة التطرف العنيف تنمو عبر مرحلتين: الأولى، يعبر فيها المتطرف عن نفسه من خلال العزلة، والسلبية، والانسحاب من المجتمع أو الفعل الإيجابى بالانضمام إلى جماعات وتنظيمات أو خلايا متطرفة فكريا. والثانية، تبدأ مع الانتقال إلى ممارسة العنف استنادا إلى مخزون التوترات التى تراكمت وتعمقت فى المرحلة الأولى، حيث شكلت الطاقة

الدافعة لسلوكياته. هنا، قد يأخذ العنف أشكالا متعددة (تبدأ باللفظى وتمر بمستويات متعددة من العنف السلوكى وتنتهى بالإرهاب). كذلك، يمكن أن ينتقل الفكر المتطرف الذى قد لا يجرم قانونا إلى واقع وسلوك عنيف يستهدف محاولة فرض الرأى بالقوة، بل قد يتعمق هذا السلوك لممارسة التطرف العنيف والإرهاب، مع فرض حالة من الخوف والقلق والتوتر الدائم عند الأطراف الأخرى(١٣).

ثالثا: آليات جذب العناصر الإرهابية لهذه التنظيمات

تسعى التنظيمات الإرهابية لجذب عناصر جديدة عن طريق تغييب العقل، وتغيير الفكر، وتزييف الوعى، أى ما يسمى غسل الدماغ؛ وتتعدد الآليات والأدوات من أجل بلوغ تلك الغاية، ويعرف البعض غسل الدماغ بأنه "السيطرة على العقل البشرى وتوجيهه عن طريق التحكم فى فكره ومشاعره وسلوكه دون رغبة أو إرادة منه، بعد أن يجرد من مبادئه السابقة". ويعرف أيضا بأنه "عملية تطويع المخ وإعادة تشكيل التفكير". وتمر عملية غسل المخ بعدة مراحل:

- **اختيار العنصر:** محددات اختيار العنصر مهمة جدا لاستقطابه وسهولة غسل دماغه وتشكيلها كيفما أرادوا، فمن أهم المحددات أن تكون سماته الشخصية كما أوضحنا سابقا تميل للعنف والعدوان والتوتر والاضطراب النفسى، وتميل لحب السيطرة والظهور، وتكره المجتمع وقيمه وتعاديه أو تختلف معه، هذا بجانب المرحلة العمرية فعادة تستقطب هذه التنظيمات المراحل العمرية مثل الشباب والمراهقين لتسهل عملية الجذب لمعتقداتهم وأفكارهم فكلها محددات تسهل على التنظيم استقطاب العنصر الجديد.
- **نبذ ما هو قديم:** من خلال تصوير خبرات الماضى بشكل سلبى وأن التعليم والتنشئة لم تكن بالدرجة الكافية لتحقيق طموحاته، والتخلى عن المجتمع الظالم

وقيمه وعاداته، والبحث عن حياة جديدة يستطيع أن يحقق فيها طموحاته من حب السيطرة والالتزام بالعقيدة الدينية وتطبيقها وخلافه.

- **الإقلاع عما سلف:** مرحلة التوبة والندم والاعتراف بالأخطاء والتوبة عن الأخطاء التى حدثت فى الماضى ويقف منها موقف العداء ليحيا حياة جديدة يتم فيها بناء الأفكار وتغيير الاتجاهات.
- **إعادة التقويم:** تدور حول إعادة بناء فكر الفرد فى الصورة الجديدة التى يراد له أن يكون عليها، وفى هذه المرحلة يحدث تغيير فى مفهوم الذات لدى الفرد، ويتم محو الأفكار غير المطابقة لأفكار التنظيم، وتكوين صورة جديدة مثالية عن التنظيم وأهدافه التى يبغى تحقيقها فى الواقع لإرساء العدالة والإيمان[١٤].

وتتعدد آليات وأساليب التنظيمات الإرهابية لاستقطاب وجذب العناصر الجديدة من خلال الأساليب التالية[١٥]:

١- **الأساليب التربوية:** الاعتماد على غسل أدمغة العناصر الجديدة من خلال التعليم بالطرق التربوية التى ترمى إلى تحرير العقل والنفس، وإخراج الشخص عن عاداته ومبادئه وقيمه ودينه، وصهره فى أفكار التنظيم الذى يبثها من خلال الاهتمام بالتعليم فى المراحل الأولى حيث يهتم بتدريس المواد الدينية واللغة العربية والحساب لكى يستطيع تنشئة الصغار على السمع والطاعة وأخلاقيات وأفكار وقيم غريبة عن المجتمع، وغرس العقائد والمذاهب الدينية المتطرفة. هذا بجانب إرسالهم للتعليم فى الدول الأجنبية لكى يستقوا معلوماتهم وثقافتهم منها فى المراحل الجامعية لكى يمارس عليهم عمليات التغريب، وبالتالى يدينون لها بالفضل ومن ثم يرجعون حاقدين على المجتمع وينفذون المخططات الأجنبية التى تخدم مصالح هذه البلاد. وقد تتخذ هذه التنظيمات سيطرتها على بعض المدارس والجامعات لبث سمومها وأفكارها المتطرفة على الشباب والمراهقين.

٢- **الوسائل الإعلامية:** تسعى التنظيمات الإرهابية إلى استخدام أداة الإعلام كإحدى أهم الأسلحة الرئيسية فى حربها ضد الأنظمة السياسية القائمة، وذلك ببثها ونشرها لأفكارها الهدامة المتطرفة، واستقطابها وتجنيدها لعناصرها الجدد عبر وسائط الإعلام المختلفة، فالإعلام لديه القدرة على التحكم فى عقول الشعوب وتوجيهها، حسبما يريد أصحاب المؤامرة. وإذا كانت وسائل الإعلام فى الوقت الحاضر تعد وسيلة مهمة للتأثير وخطورته يزداد كلما قل حظ البيئة من التعليم والثقافة، وكلما انخفض المستوى الاقتصادى والمعيشى لأبنائها. وقد سيطرت هذه الجماعات على العديد من القنوات والصحف، كما استخدمت بعض المنصات الإعلامية للترويج لأفكارها، والتلاعب بعقول الشباب مستخدمى الإعلام الإلكترونى والتأثير فى آرائهم ومعتقداتهم ومذاهبهم، فضلا عن توجيه سلوكياتهم ولعل من أشهرها: "وكالة أعماق الإخبارية، وصحيفة النبأ الأسبوعية، ومجلة دابق، وصحيفة إباء الأسبوعية، وشبكة شموخ الإسلام، ومجلة رومية الإلكترونية". وهكذا يلعب الإعلام بكل وسائله المتعددة أهم الأدوار فى الغزو الفكرى الذى يعد أخطر من الغزو العسكرى، فلم تعد الأسلحة الفتاكة رغم خطورتها وتأثيراتها هى المصدر الأهم للقوة والهيمنة والنفوذ، بل أصبحت المصادر الأخرى والتى يعبر عنها بالقوى الناعمة، ويعد الإعلام الجديد أهم أدواتها، وأكثرها اختراقًا وتأثيرًا وتحقيقًا للأهداف، فهو السلاح الأهم والأخطر.

٣- **الأفكار والمفاهيم الهدامة:** تسعى التنظيمات المتطرفة إلى نشر الدعوة للتطرف والانحراف القيمى، الأخلاقى، والثقافى، والاجتماعى، والسياسى، والدينى، والعقائدى، من خلال تبنيها للعديد من الأفكار التى تذهب العقول وتغيبها، وذلك بإلباسها ثوبا أبيض براقا، وتخفى أغراضها الخبيثة بهدف خلخلة الأنظمة السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية بالمنطقة العربية والإسلامية، وإشاعة الفوضى ونشر الرذيلة والإباحية تحت شعار "حرية الفكر والرأى والإبداع".

فالتغريب والعولمة يمثلا أبرز الأفكار الهدامة التى ركزت على طرحها تلك الجماعات الإرهابية مدفوعة بالأجندة الغربية بهدف تسييد الحضارة الغربية على باقى الحضارات ومحو الحضارة الإسلامية، وذلك من جميع الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ولعل الأخيرة هى التى تتيح الغزو الفكرى الغربى وترويج لأفكاره الهدامة واكتساب العادات المحرمة والغربية على مجتمعاتنا الشرقية، وتلك الأفكار تستغلها التنظيمات المتطرفة التى تحمل فى ظاهرها الحرية والعدل والمساواة وفى باطنها تحمل الأفكار المتطرفة التخريبية، من أجل تضليل العقول وتغييبها وإخراج الشخص عن عاداته ومبادئه وقيمه ودينه، وفتح الطريق أمام قلبه وفكره لتقبل كل فكر وافد.

٤- **الرسوم المتحركة والألعاب الإلكترونية:** أصبحت التكنولوجيا، وأفلام الكارتون، والقصص، والألعاب الإلكترونية عاملا أساسيا فى نشأة وتربية الأطفال، بعكس الماضى التى كانت تعتمد فيه التربية على البيت والمدرسة. فمع ازدياد التكنولوجيا والتطور غاب الدور الرقابى، وبعد أن كانت القصص والكارتون هدفها ترسيخ القيم والأخلاق، أصبحت مليئة بمشاهد العنف والإثارة، الأمر الذى قد ينتج عنه جيل يميل إلى العنف والتطرف، بل وأصبح مليئا بما يخالف عقيدة الطفل المسلم ودينه.

إن صناعة التطرف تبدأ بقصة وفيلم كارتون. فقد أصبحت تلك الوسائل تسيطر على معظم البيوت العربية والإسلامية، وباتت تشكل خطرا على عقول وقلوب أطفالنا، فهناك قصص تمجد وتحرض على العنف، وقصص أخرى إباحية، وثالثة منافية لديننا وقيمنا وعاداتنا وتقاليدنا وذلك عبر منصات التواصل الاجتماعى "تويتر، فيس بوك" فضلا عن رفع فيديوهات على المواقع ذات الشعبية العريضة مثل يوتيوب واربيد شير.

هذا بخلاف تأثير الألعاب الإلكترونية على الأطفال وخاصة "**لعبة PUBG**" الشهيرة التى تعد نمطا من الألعاب القتالية ويقوم اللاعبون فيها بالقتال بالنظام الفردى أو بنظام الفريق عبر شبكة الإنترنت من أماكن مختلفة فى العالم ولن ينجو منهم إلا لاعب واحد فهم أعداء جميعا، وتعد ألعاب الفيديو من هذا النمط أكثر تأثيرا فى نفوس الأطفال والمراهقين عن الكبار لكن الكبار ليسوا بمعزل عن الإدمان على مثل تلك الألعاب العنيفة بل والتأثر بها. وبذلك تعد لعبة بابجى من الألعاب الخطرة التى يجب الانتباه لآثارها، خاصة بالنسبة للأطفال والمراهقين فهى تنضم إلى أخواتها "**لعبة Mariam**" المميتة، "**لعبة Blue whale**" القاتلة، "**لعبة Fortnite**" وغيرها من الألعاب" التى تهدد الحياة والسلم والأمن العام، فضلًا عن محاربتها للعرب والمسلمين، بحيث يكون اللاعب مجبرا على ذلك، بأن يكون اللاعب أمريكى أو بريطانى الجنسية ويقوم بضرب وقتل العرب والمسلمين من أجل الفوز.

وبخلاف ما سبق ذكره من أدوات وطرق ناعمة تستغلها التنظيمات الإرهابية فى عملية التحوير الفكرى، فإن هناك طرقا أخرى عنيفة تستخدم للتجنيد بالقوة، وتمارس فى بعض الأحيان على النساء والفتيات لإجبارهن على الإتيان بأعمال ضد رغبتهن كمهنة "زوجة مقاتل"، وتقديم الخدمات المنزلية، وتمر الطريقة العنيفة بأربعة مراحل هى كالآتى[١٦]:

- **الإقصاء:** وذلك بعزل الفرد عزلا كاملا سواء فى مستشفى أو مصحة أو معتقل أو سجن.
- **التعذيب الشديد:** وذلك بتعريض الفرد للضغط الجسمانى والضرب والركل وتقليل ساعات نومه أو الحرمان منه، ونقص الغذاء أو الحرمان منه، وحرمانه من الملابس الكافية فضلا عن استخدام العقاقير المخدرة.

- **اللين والهوادة:** ثم تبدأ مرحلة التساهل والرفق والمعاملة اللينة، والاعتذار عن المعاملة السابقة، وإظهار الصداقة فيخرج الفرد إلى الشمس والهواء تحت حراسة أو بدونها.
- **التلقين:** وتبدأ مرحلة تلقين الفرد بالأفكار المتطرفة المراد غرسها، وذلك عن طريق المقابلات الشخصية والدروس الجماعية.

رابعاً: العوامل المهيئة لتكوين البيئة الحاضنة للتنظيمات الإرهابية

أشارت بعض الدراسات إلى وجود العديد من الإشكاليات التى تمثل فى مجملها عوامل مهيئة لتكوين بيئة خصبة لتشكيل المجتمعات والتنظيمات الإرهابية، فالفريق الأول يعظم الوزن النسبى للعوامل الاقتصادية على حساب العوامل الأيديولوجية والعقائدية والدينية، والفريق الآخر يعتبر العوامل السياسية ومصالح القوى والعلاقات بين الدول هى العامل الحاسم فى ظهور الإرهاب، وهناك آخرون يرون أنه لا يمكن إغفال السياق المحلى والعوامل الاجتماعية والثقافية والنفسية من حزمة العوامل المهيئة لتكوين التنظيمات الإرهابية، بجانب العوامل الاقتصادية والسياسية السائدة فى المجتمع، وهناك من يرى أيضا أن الفساد وعدم توزيع العدالة فى التنمية والتطوير على جميع أنحاء المجتمع، بخلاف التحضر المشوه لمناطق دون غيرها، وتدنى مستويات التعليم والثقافة، وتعظيم السيطرة الأمنية على البلاد وعدم الحرية والظلم كلها عوامل تخلق بيئة ضاغطة على أفرادها قد تدفعهم لممارسة السلوكيات العنيفة والجرائم المتطرفة، ومن ثم الانضمام للجماعات الإرهابية(١٧).

وفى ظل عدم اتفاق هذه الآراء على تعظيم الوزن النسبى لعامل على حساب عامل آخر، فقد تتجه الدراسة لما اتفق عليه معظم الدراسات، من حيث الإجماع على ضرورة مراعاة السياق المحلى وخصوصية كل مجتمع عند تحديد العوامل المهيئة لتكوين الجماعات الإرهابية داخله، فكل مجتمع يتمتع بخصوصية فى ثقافته وقيمه

وعاداته، ونمط النظم السياسية والاجتماعية السائدة، وخير مثال على ذلك المجتمع المصرى وما يتمتع به من حضارة عريقة وموقع جغرافى متميز، وتاريخ اجتماعى وثقافى مختلف عن باقى المجتمعات التى تحيط به، لذا فتكوين الجماعات الإرهابية فى المجتمع المصرى مختلف عن غيرها من المجتمعات، وتشير الدراسات التى درست الشأن المصرى وتكوين الجماعات الإرهابية فيه إلى وجود عدد من العوامل أسهمت وساعدت فى وجود الجماعات الإرهابية واستيطانها فى بعض المناطق والبيئات، وهذه العوامل متشابكة ومرتبطة بالسياق التاريخى لظهور هذه الجماعات، ولا يمكن إعطاء عامل الوزن الأكبر على حساب عامل آخر فجميع العوامل متساوية فى التأثير ومتشابكة لا يمكن فصلها عن بعض، فجملة العوامل التى أسهمت فى تكوين هذه الجماعات لها مرجعيات تاريخية وفكرية ومذهبية مرتبطة ببعض الدول مثل العراق وسوريا واليمن والسعودية، وهى مرجعيات لها تأثير غير مباشر فى تكوين الجماعات، أما العوامل أو المرتكزات ذات التأثير المباشر فى تكوينها داخل المجتمع المصرى، فيمكن رصدها كالتالى:

١- العوامل الاقتصادية:

يمكن القول بأن مجال البحث فى موضوع العلاقة بين الوضع الاقتصادى والتوجه للعنف شهد انقساما حادا، فى مجرى التيار الرئيسى له، إلى اتجاهين: الاتجاه الأول، يميل إلى عدم وجود أى علاقة بين الوضع الاقتصادى والاتجاه للعنف وخاصة الإرهاب. أما الاتجاه الثانى، فيرى أن العلاقة هى علاقة اقتصادية بحتة، بمعنى وجود دوافع وليس أسباب اقتصادية، وأنه ليس للسياسة أى دخل بها، حيث أُجريت مجموعة من الدراسات إثر أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ فى الولايات المتحدة الأمريكية، لتفسر طبيعة وقوة الارتباط بين الفقر وانخفاض المستوى التعليمى من جهة، والميل لاستخدام العنف واللجوء إلى العمل الإرهابى من جهة أخرى، ومن أهم الدراسات فى ذلك الدراسة التى قام بها كل من "Alan Kruger" الاقتصادى

الأمريكى، و"Jetka Malkova" المتخصصة التشيكية فى دراسات الشرق الأدنى وأفريقيا لحساب المجلس الوطنى للبحوث الاقتصادية فى الولايات المتحدة الأمريكية فى عام ٢٠٠٢، وكان السؤال المحورى الذى سعت الدراسة للإجابة عليه هو: هل هناك علاقة ارتباط سببى بين الفقر أو التعليم المنخفض من جهة، ودعم النشاطات الإرهابية والعنف الذى تستحثه السياسة بشكل عام من جهة أخرى؟ وخلص الباحثان إلى أن "أى ارتباط بين الفقر، والتعليم المنخفض من جهة، والإرهاب من جهة أخرى، هو ارتباط غير مباشر، وهو ارتباط معقد وربما ضعيف إلى حد كبير، وبدلا من النظر إلى الإرهاب كاستجابة مباشرة لطبيعة الفرص المتاحة فى السوق مع تزايد معدلات الأمية والجهل، نرى أنه سيكون أكثر دقة أن ينظر إليه كاستجابة لظروف سياسية ومشاعر طويلة المدى بالإهانة أو الإحباط الذى ليس له علاقة كبيرة بالاقتصاد"(١٨).

فى المقابل، كانت هناك نظرة "اقتصادية" تستند إلى نظرية الاختيار الرشيد النيو كلاسيكية، والتى ترى أن العنف ينشأ، مثله مثل أى نشاط اقتصادى آخر، من سعى الأفراد لتعظيم منافعهم، فالعنف– والحرب الأهلية بشكل خاص– يحدث نتيجة للطمع والجشع أكثر من الإحساس بالظلم أو السخط، أى أن الدافع على العنف والتمرد هو حجم المكاسب المنتظرة لا حجم المظالم الواقعة على الأفراد والجماعات بالفعل، ووفقا لهذه النظرة، فإنه حيثما تزيد فرص تحقيق الربح على التكلفة المرتبطة بالعنف والتمرد (ارتفاع نفقة الفرصة الاقتصادية) فسوف يتجه الأفراد للعنف والتمرد وتشكيل منظمات إرهابية بهدف تحقيق مكاسب اقتصادية. وتزيد من فرص ذلك فى حالة توافر مورد طبيعى ذى قيمة اقتصادية كبيرة كالنفط أو الماس مثلا، أو حتى نشاط غير شرعى مرتفع الربحية كتجارة الأسلحة وتهريبها(١٩).

وفى ظل الظروف التى كانت سائدة فى المجتمع المصرى آنذاك نجد أن الحرمان الاقتصادى والفقر والإقصاء والتهميش وقلة فرص العمل والسكن فى الأماكن

الشعبية والعشوائية والزيادة الكبيرة فى السكان والتحضر المشوه الذى يهتم بتطوير وتنمية أماكن حضرية دون الأخرى، وتقلص نوعيات معنية من التعليم وقصره على الأغنياء والقادرين على مصاريف التعليم، والطبقية فى التعامل، وانتشار مظاهر الظلم جميعها عناصر تجعل الفرد ناقم وحاقد على مجتمعه ويهرب منه سواء بالهجرة إلى الخارج أو الهجرة إلى الداخل فى مثل هذه التنظيمات التى تستقطبه وتجنده بالحجج البراقة الواهية.

٢- العوامل الفكرية والأيديولوجية:

يأتى هذا البعد الفكرى والأيديولوجى فى المرتبة الثانية فى العوامل التى قد تدفع لتكوين الجماعات الإرهابية والتى تتعاطى بشكل مباشر مع الفاعل السياسى أو مع الدولة، والحقيقة أن النقاش حول من المسئول عن الإرهاب: النص الدينى أم السياق الاجتماعى والسياسى المحيط هو نقاش ارتبط بالتحولات التى أصابت التيارات المتطرفة فى نصف القرن الأخير، فدوافع الإرهاب طوال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الماضى كانت النص الدينى أو بالأحرى التفسير المنحرف للنص الدينى، فقد امتلكت الجماعات الجهادية مرجعية فكرية وعقائدية متكاملة تدور حول مفهوم الحاكمية لله، واعتبرت النظم القائمة هى نظم جاهلية لا تطبق أحكام الله، ولذا وجب تكفيرها وإسقاطها بالعنف، وأن مدخل أى عضو للانضمام إلى التنظيمات الجهادية الكبرى كان يبدأ بالإيمان بمرجعية عقائدية متكاملة تستند إلى تفسير خاص للنص الإسلامى يدفع العنصر الإرهابى بعد سنوات من الانخراط فى هذه التنظيمات إلى ممارسة العنف والإرهاب فى مواجهة ما كان يعتبره "النظم الكافرة" والمجتمع الجاهلى. وقد تغير الأمر مع بدايات العقد الماضى، حين تراجع دور النص الدينى كمحدد أساسى فى عملية التجنيد لتنظيمات القاعدة ثم داعش، صحيح إنه ظل حاضرًا كمبرر للقتل أو الانتحار، ولكن من يصنع الكراهية والإرهاب وتكفير المخالف لم يعد أساسًا تفسيرًا منحرفًا للنص الدينى يقضى التكفيرى سنوات لدراسته، مثلما فعل

جهاديو القرن الماضى؛ إنما هو واقع طائفى فى العراق أشعر قطاعًا واسعًا من السنة بالاضطهاد والتهميش، أو مظالم سياسية وطائفية وجرائم حرب ارتكبها النظام فى سوريا فدفعت جزءًا من السنة للانضمام لداعش أو جبهة النصرة (جبهة فتح الشام الآن)، أو التواطؤ معهما، ولم يتم تجنيد دواعش مصر أولًا أو أساسًا من خلال كتب ابن تيمية أو سيد قطب أو سيد إمام الشريف إنما بالأساس عبر رواية انتقام سياسى متكاملة الأركان فى مواجهة النظام القائم غلفوها بعد ذلك بقشور تكفيرية تبرر القتل، ولكنها لم تكن الدافع الأصلى ولا الأساسى وراء الإرهاب[٢٠].

وهنا تتعدد الرؤى النظرية حول الطريقة المثلى التى يجب أن تتعاطى بها الدولة لمنع تكوين الجماعات الدينية المسلحة؛ فهناك من يرى بضرورة علمنة المجال العام والفصل الكامل بين الرؤى السياسية ونظيراتها الدينية ومن ثم ضرب هذه الجماعات فى أساسها الأيديولوجى، وهناك من ينادى بضرورة الإدماج والقبول المزدوج مستندين فى ذلك إلى أنه كلما كان هناك انفتاح سياسى يقبل بكل الشركاء الوطنيين فى الحقل السياسى سواء أكانوا علمانيين أو دينيين، مالت الجماعات الدينية إلى الاعتدال وبدأت فى تعديل أيديولوجيتها، الأمر الذى يجعلها تبتعد عن العنف وعن ارتكاب الجرائم الإرهابية ضد الدولة والمجتمع. وهناك فريق ثالث يرى أن هناك ضرورة ملحة فى التعاطى الأمنى والعنيف مع مثل هذه الجماعات من أجل القضاء عليها وتجفيف منابعها وتحقيق نوع من العلمانية المتطرفة التى لا تقبل بالدين على أرضها. وجاءت سياسات الدولة فى مصر مزيجا بين الرؤى الثلاث فى مراحلها التاريخية المتعاقبة. فتارة تنادى بالعلمانية المعتدلة وفصل الدين عن المجال العام، وتارة تنادى بالعلمانية المتطرفة مانعة لأى وجود تنظيمى دينى على الساحة، وتارة أخرى تحاول تحقيق التوازن وكسب المصالح السياسية والاقتصادية والأيديولوجية ولكن بدون أساس ديمقراطى صحيح؛ بل من أجل تحسين صور النظام أمام المجتمع الدولى. وبحسب

ذلك تصبح الطريقة التى تتعامل بها الدولة مع البعد الفكرى والأيديولوجى محددا حاسما فى تكوين الجماعات الإرهابية أو فى عدم تكوينها[٢١].

٣- العوامل الاجتماعية والثقافية:

تفرز البيئة الاجتماعية والثقافية السائدة فى المجتمع المصرى العديد من النماذج الشخصية لأفراد المجتمع، وتتأثر السمات الشخصية والنفسية للأفراد بالعادات والتقاليد التى نشأوا عليها فى المجتمع، والسياق الثقافى السائد فيه، ويقوم المجتمع بتربية الأفراد وتكوين سماتهم الشخصية من خلال العديد من المؤسسات الاجتماعية المكونة له منها "الأسرة، المدرسة، الجامعة، الأصدقاء، دور العبادة... وغيرها من المؤسسات المنوط بها تربية وحماية الفرد فى المجتمع".

ويشير Jerrola Post إلى أن اختيار الفرد لطريق ممارسة الإرهاب يضرب بجذوره فى تنشئتهم الاجتماعية المبكرة التى غرست فيهم البذور الفكرية الأساسية اللازمة لتلك الممارسة، ووفرت لهم ممارسة "القتل باسم الله" وإعطاء أعمالهم مغزى مقدسا من قبل رجل الدين المتطرف، سواء كان آية الله، أو حاخاما، أو قسيسا، وبما إنهم "مؤمنون حقيقيون" يتقبلون تفسير رجل الدين المتطرف للكتب المقدسة بدون جدال، فيقدمون على التضحية بأنفسهم وهم على يقين من أن ما يقدمون عليه ليس انتحارا. ويتفق معه John Horgan الذى قال أن الانضمام إلى الشبكات الإرهابية وكذلك الخروج منها إنما يتأثر بالظروف المحيطة بالفرد بأكثر من تأثره بملامح شخصيته[٢٢].

ومن الدروس المستفادة من التجربة التاريخية لحركة الشعوب هو أن العنف يولد من غياب العدالة أو تغييبها قسرًا. فالتفاوتات بين البشر تنشأ من اختلالات فى المنظومة المجتمعية بمستوياتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والمدنية والثقافية، ما يؤكد أن الظلم الاجتماعى، وتنامى التفاوتات المتنوعة هما وقود العنف وتبنى أيديولوجيته[٢٣]. ومن ثم يسهل على هؤلاء الأفراد اكتساب الاتجاهات المتطرفة عن

طريق عمليات التدريب الاجتماعى التى تغرس فيهم قيم تقديس التطرف بتأكيد أن الشخص القوى صاحب الموقف القاطع الواضح والقادر على إلحاق أذى للأخرين هو الشخص "المحترم" مقابل أن الشخص الوسطى الهادئ المسالم الذى لا يرى الأمور أبيض/ أسود، بل يرى لها أوجها واحتمالات مختلفة، هو شخص متردد ضعيف لا يستحق الاحترام. وبالتالى يلزم وجود دعامتين أساسيتين لتكوين الظاهرة الإرهابية فى المجتمع هما "دعم وترسيخ المناخ الاجتماعى الفكرى الأصولى، وتوفير التمويل اللازم للتجنيد والتدريب والتسليح والإعاشة إلى أخره"(٢٤).

فالثقافة والقيم من أهم المتغيرات التى قد تتباين درجات تأثيرها من إقليم لآخر، فالمجتمع القبلى والبدوى تختلف قيمه وثقافاته عن المجتمع الحضرى، وهكذا على مستوى محافظات الصعيد والحدود، لذا نجد أن أنماط الثقافة والفكر الأيديولوجى والدينى يختلف من إقليم لآخر فى المجتمع، كما أن الظروف اليومية الحياتية التى يعيش فيها الفرد فى هذه الأقاليم قد تخلق مناخًا ضاغطًا وترفع من رصيد التوترات الاجتماعية سواء داخل الأسرة أو بين عشيرته أو قبيلته، فارتفاع الأسعار وقلة فرص العمل والدخول المنخفضة التى لا تتواكب مع ارتفاع الأسعار والخدمات قد تجبر الفرد لاستخدام سلوكيات العنف أو الهروب من هذا الظلم والحرمان إلى هذه الجماعات ظنا منه أنها تقيم العدالة وتمارس العقائد الدينية الصحيحة على الأرض.

٤- العوامل الإعلامية والتكنولوجية:

يلعب التقدم فى وسائل الإعلام دورًا مهمًا ورئيسيًا فى تكوين التنظيمات الإرهابية سواء بالسلب أو بالإيجاب، وقد تنامى هذا الدور وازدهر نتيجة الثورة المعلوماتية وتوسيع البث الفضائى وظهور الإعلام الرقمى والمجتمع الافتراضى، فالإعلام ينقل المعلومة وينشرها ويصف الأحداث ويلاحقها ويسهم فى تشكيل الرأى العام. فالتنظيمات الإرهابية أصبحت تمتلك التكنولوجيا الحديثة، واستخدمت شبكة الإنترنت بكل قوة فى حشد وجذب الأفراد للانضمام إليها عبر مختلف بلدان العالم، فتنظيم داعش يحشد

آلاف الأفراد للانضمام إليه من خلال الإنترنت، فلديه جيش جبار دوره الرئيس هو بث الأفكار عبر الإنترنت، والتواصل مع الأفراد لإقناعهم بأهداف التنظيم وأفكاره.

وأدى ذلك إلى خروج الإرهاب من المجتمع الواقعى إلى ساحة المجتمع الافتراضى، فالحرب مع الإرهاب لم تعد قائمة على المواجهات العسكرية البرية أو الجوية فى دولة أو مدينة ما؛ وإنما تطورت وأصبحت عبر المجتمع الافتراضى، لذا يجب علينا محاربة الفكر بالفكر، ومتابعة المواقع الإلكترونية المختلفة التى تستخدمها التنظيمات الإرهابية المختلفة، لاستباق الأحداث وسهولة التصدى لها.

فالتنظيمات الإرهابية وجدت لها مخرجًا من الخنادق والأنفاق والعيش تحت الأرض وفوق الجبال من خلال الفضاء الإلكترونى والمجتمع الافتراضى، فهذا المجتمع شكل أمامها ساحة واسعة للعالم كله، سهل عليها التواصل عبر جميع دول العالم، ومن ثم أصبح العالم كله أمامها تمارس فيه الأعمال الإرهابية والتفجيرات بدون رقابة أو سيطرة، كما سهل عليها التعرف على معلومات دقيقة عن كل مكان وكل فرد فى العالم، ومن ثم فشبكة الإنترنت أصبحت مرتعا للتنظيمات الإرهابية تستخدمها كيفما تشاء ضد البشرية. كما سهل عليها التواصل مع التنظيمات الأخرى، والنظم المخابراتية لشراء الأسلحة والتجنيد والتدريب وغيرها من الأمور اللوجستية للتنظيمات الإرهابية والحصول على الدعم المادى والمعنوى. وتستخدم هذه التقنيات بفاعلية ربما أكبر من فعالية استخدام الدول والمؤسسات الرسمية لهذه التقنيات والوسائل، بحيث إنها تراهن على توظيف المستجدات التكنولوجية، من قبيل إعلام تقليدى معروف وشبكات إلكترونية فائقة الدقة، إن لم يكن لترويع وشل حركة الأعداء، فعلى الأقل لإحراج الحكومات أمام شعوبها، وتبيان ضعف منظومتها فى الأمن والاستخبار، وكذا قدرتها على المواجهة والرد[٢٥].

تكتمل هذه العوامل وتتشابك معا لتكون السياقات البنائية والبيئة الحاضنة للتنظيمات الإرهابية، حيث أسهمت هذه العوامل بشكل مباشر فى تكوين وجذب

الجماعات الإرهابية لعناصر جديدة من أفراد المجتمع إليها، ومن ثم تكوين العديد من التنظيمات والجماعات الإرهابية فى المجتمع.

وتأكيدًا على ما سبق قوله من عوامل أثرت فى تكوين ونشأة التنظيمات الإرهابية، ونلاحظ أن العامل الإيديولوجى كان له التأثير الأكبر فى نشأة التنظيمات الإرهابية التى كان لها نشاط داخل مصر، وأمثلتها[٢٦]:

١- التنظيم الخاص التابع لجماعة الإخوان المسلمين: تنظيم عتيق يعد من أكبر التنظيمات من حيث الانتشار وتعاقب على رئاسته عدد المناصرين فى مصر والعالم، وكان الجناح المسلح فى الجماعة وقادته العديد من قيادات الإخوان.

٢- تنظيم داعش: بدأ تحت اسم أنصار بيت المقدس، ويعمل فى شمال سيناء وقطاع غزة، وهو المسئول عن كثير من الهجمات المسلحة فى شبه جزيرة سيناء، وامتد نشاطه منذ عام ٢٠١٣ نحو مدينتى القاهرة والمنصورة، ويبلغ عدد أعضاء التنظيم أكثر من ألف عضو، ويقوده شادى المنيعى وكمال علام.

٣- التكفير والهجرة: تنظيم قديم مرتكز فى أماكن عديدة داخل سيناء وداخل مدن فى صعيد مصر، وهو من أوائل التنظيمات المتطرفة، وتم القضاء على كثير من قيادات الجماعة، وبعضهم أعلن توبته من أفكارها، ولكن أطلت من جديد فى سيناء وذلك من خلال بعض أعضائها الذين خرجوا من المعتقلات وأقاموا علاقات وثيقة مع بعض التنظيمات داخل سيناء وقطاع غزة.

٤- تنظيم التوحيد والجهاد: جماعة تعمل فى شمال سيناء ولها جذور فى غزة تحمل نفس الاسم، وقد أسس الجماعة خالد مسعد فى بداية عام ٢٠٠٠ فى العريش وأصبح التنظيم فاعلا فى عام ٢٠٠٣.

٥- تنظيم أجناد مصر: تنظيم حديث نشأ فى يناير ٢٠٠٤، معلنا عن وجوده ببيان يدين الحكومة المصرية، وتوجه الجماعة هجومها على أهداف داخل القاهرة.

٦- تنظيم جيش الإسلام: تنظيم ذو أصول غزاوية، يعمل فى سيناء وقد نشأ فى غزة على يد ممتاز دغمش عضو قبيلة دغمش القوية.
٧- جيش الجلجلة: تنظيم له أصوله فى فلسطين، ارتبطت نشأته بقرار من حماس عام ٢٠٠٦، وأعدادهم كبيرة ويتبنون الفكر المعادى للجيش والشرطة ويكفرونهم لأنهم يهادنون اليهود حسب زعمهم، ويبقى أن قيادات الجماعة مجهولة وإن كانت لهم بعض الأسماء الحركية مثل أبو محمد المقدسى، وأبو عبدالله السورى وأبو قتادة الفلسطينى.
٨- شباب أرض الكنانة: تنظيم من التنظيمات الجديدة بعد ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣، ولم تقم سوى بعملية واحدة ضد القوات البحرية الرابضة بدمياط.
٩- كتيبة الفرقان: كتيبة أنشأها محمد أحمد نصر وهانى مصطفى، وكانت علاقته قوية بحركة "حازمون"، واشتهر التنظيم بالهجمات التى شنها على قناة السويس عام ٢٠١٣، واستفاد التنظيم فى تكوين قوته من أعضاء حركة "حازمون".
١٠- حركة حسم أو سواعد مصر: حركة حديثة النشأة تنسب نفسها لثورة يناير والدفاع عن العدالة الاجتماعية، واستهدفت الحركة شخصيات عامة كالشيخ على جمعة، كما استهدفت رجال الدولة والنيابة والشرطة، وبدأت فى تدشين وجودها عام ٢٠١٤.
١١- تنظيم العقاب الثورى: أحد التنظيمات الإرهابية التى نشطت فى الوادى وشنت عمليات على الكمائن الشرطية.
١٢- حركة لواء الثورة: حركة خرجت من رحم حسم بهدف تشتيت أجهزة الأمن وتنفيذ عمليات إرهابية لحساب جماعة الإخوان، وتتلقى الحركة التكليفات من قادة الجماعة الهاربين فى الخارج.
١٣- تنظيم المقاومة الشعبية: مجموعة مسلحة أعلنت نفسها فى أغسطس ٢٠١٤ إبان الذكرى الأولى لفض اعتصام رابعة والنهضة، وشاركت فى استهداف

رجال الشرطة وقتها واختفت ثم ظهرت مرة أخرى أواخر ديسمبر ٢٠١٤ استعدادا للتظاهرات التى دعت إليها جماعة الإخوان.

الخاتمة

سعت الدراسة إلى إلقاء الضوء على السياقات البنائية والعوامل المهيئة لتكوين بيئة حاضنة للتنظيمات الإرهابية، وذلك من خلال التعرف على مفهوم الإرهاب والتطرف والتطرف العنيف، والإشكاليات التى تتعلق بهما ومدى التقارب والاختلاف بينهما، ومن نطلق عليه إرهابيًا، وسمات الإرهابى الشخصية وطبيعة وأنماط الفاعلين فى التنظيمات الإرهابية، ورصد آليات جذب هذه التنظيمات للعناصر الجديدة، وتحليل أهم العوامل المهيئة لتكوين البيئة الحاضنة لهذه التنظيمات داخل المجتمع المصرى، وذلك مع مراعاة السياق المحلى وخصوصية المجتمع المصرى فى تكوين هذه الجماعات.

فالوعى الأيديولوجى الذى يمتلكه الإرهابى، والمستوى المرتفع من التعليم والثقافة، والحياة فى المدن الحضرية سواء فى الأحياء الشعبية أو العشوائية وما تعانيه من تضخم السكان بها على مساحات محدودة من الأرض، والمشكلات التى يعانى منها فى ظل هذه الزيادة من تدهور مستوى المعيشة والخدمات، وقلة فرص العمل، وانعدام الأمن، والظروف الاجتماعية القاسية، والحرمان النسبى من فرص الحياة المريحة التى يعيشها فى المقابل الطبقات الغنية، كلها عوامل قد تدفع الفرد إلى التخلى عن أبسط حقوقه الإنسانية وممارسة حياته بعنف غريزى يحكم تفاعله فى جملته ومن ثم يسهل عليه الانسياق والانخراط فى تلك التنظيمات وممارسة العنف والقتل ضد المجتمع، كما أن التهميش والحرمان من فرص التنمية والتحضر المشوه المنقوص فى بعض المحافظات الحدودية والقبلية يرفع من رصيد التوتر الاجتماعى لدى قاطنيها، بجانب الظروف اليومية والضغوط الحياتية مما يسهل عليهم الانخراط

فى هذه الجماعات بغية الانتقام من المجتمع. فجميع العوامل الاقتصادية والأيديولوجية والاجتماعية والثقافية والإعلامية ويتقاطع معهم العوامل السياسية أسهمت فى تكوين الجماعات والتنظيمات الإرهابية داخل المجتمع المصرى.

المراجع

١- علـى بكـر، تـصاعد مخـاطر ظـاهرة الإرهـاب فـى المنطقـة والعـالم العربـى، الـسياسة الدوليـة، السنة السابعة والخمسون، العدد الرابع والعشرون بعد المئتين، أبريل ٢٠٢١، ص ١٧٦.

٢- هنـد فـؤاد، الأسـباب الاجتماعيـة لـصناعة الإرهـاب الجديـد، المجلـة الجنائيـة القوميـة، المجلـد الحادى والستون، العدد الثانى، يوليو ٢٠١٨، ص ٥.

٣- على بكر، المرجع السابق، ص ١٧٧.

٤- علـى بكـر، تحـولات اسـتراتيجية مـساعى تنظـيم القاعـدة لتعزيـز نفـوذه فـى المنطقـة، الملـف المصرى، العدد ٦٢، أكتوبر ٢٠١٩، ص ٢٣.

٥- رابحة سيف علام، الإرهاب والتطرف العنيف والجنوح إلى العنف، محاولة لضبط المفاهيم، مجلة المشهد، العدد الأول، يونيو ٢٠٢١، ص ٧.

6- ZiyandaStuurman, Terrorism as Controversy: the Shifting Definition of Terrorism in State Politics, 249-2019, https://www.e-ir.info/2019/09/24/ terrorismas-controversy-the-shifting-definition-of-terrorismin-state-politics/

7- Jean Marc Sorel, Some Questions about the Definition of Terrorism and the Fight Against its Financing, EJIL 2003,Vol. 14 N.2, 365-378. available at: http://www.ejil.org/pdfs/14/2/420.pdf

٨- محمد بدرت بدير، عولمة التطرف: دراسة فى المفهوم وآليات التجنيد، السياسة الدولية، السنة السابعة والخمسون، العدد الرابع والعشرون بعد المئتين، أبريل ٢٠٢١، ص ٦٨.

٩- رابحة سيف علام، مرجع سابق، ص ٨.

١٠-المرجع السابق، ص ٩.

١١- بسمة جمال الدين، الإطار المعرفى لدراسة الشخصية الإرهابية: نحو بناء تكاملى فى دراسة الجريمة الإرهابية، ضمن أوراق المقدمة إلى مائدة مستديرة حول "مواجهة الجريمة الإرهابية والمقتضيات الوطنية"، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ٢٠١٩، ص ص ١٢١ : ١٢٤.

١٢- انظر لكل من:

– ليلى ميسوم، المنظور النفسى لظاهرة الإرهاب قراءة تحليلية فى شخصية الإرهابى فى ظل علم النفس المرضى، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ٣٦، ٢٠١٧، ص ص ٥١– ٧٠.

– سعاد عزيرو، البروفيل السيكولوجى للفرد الإرهابى، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة جنوب الوادى، ٢٠١٣.

١٣- أيمن عبد الوهاب، التطرف العنيف والمواجهة المجتمعية، مجلة المشهد، العدد الأول، يونيو ٢٠٢١، ص ٣٨.

١٤- محمد بدرت بدير، مرجع سابق، ص ٦٩.

١٥- محمد بدرت بدير، وسائل وأساليب الحرب النفسية وآليات مواجهتها، المملكة العربية السعودية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، دار جامعة نايف للنشر، ٢٠١٩، ص ٩٢.

١٦- انظر لكل من:

– أنور الجندى، يقظة الفكر العربى: حركة اليقظة فى مواجهة التغريب: مرحلة ما بين الحربين، القاهرة، مطبعة زهران، ص ٣٦.

– محمد بدرت بدير، المرجع السابق، ص ٦٣.

١٧- انظر لكل من:

– هند فؤاد، مرجع سابق، ص ٦.

– على الغانم، الدولة والمجتمع: رؤية نقدية للتاريخ الاجتماعى للإرهاب (١٩٥٢– ٢٠١٠)، ضمن الأوراق المقدمة إلى المائدة المستديرة حول "مواجهة الجريمة الإرهابية والمقتضيات الوطنية"، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ٢٠١٩، ص ص ٩٦، ٩٨.

– على ليلة، تقاطع العنف والإرهاب، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٧.

١٨- مجدى صبحى، عن العلاقة بين الاقتصاد والعنف، الديمقراطية، العدد ٦٧، يوليو ٢٠١٧، ص ٥٤.

١٩- المرجع السابق، ص ٥٤.

٢٠- عمرو الشبكى، تحولات جماعات العنف وتحدى الإرهاب الجديد، الديمقراطية، العدد ٦٧، يولوى ٢٠١٧، ص ٤٥.

٢١- على الغانم، الدولة والمجتمع: رؤية نقدية للتاريخ الاجتماعى للإرهاب (١٩٥٢– ٢٠١٠)، مرجع سابق، ص ص ٩٢: ٩٤.

٢٢- قدرى حفنى، العلاقة بين التطرف والإرهاب، الديمقراطية، العدد ٦٧، يوليو ٢٠١٧، ص٣٣.

٢٣- المرجع السابق، ص ٣١.

٢٤- هند فؤاد، مرجع سابق، ص ١٢.

٢٥- سماح عبد الصبور، الإرهاب الرقمى: أنماط استخدام الإرهاب الشبكى، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المستدامة، أكتوبر ٢٠١٤.

٢٦- محمود عبدالله، الخطر السائل: الإرهاب فى المجتمع المصرى، قراءة فى ضوء بيانات مؤشر الإرهاب العالمى، ضمن الأوراق المقدمة إلى المائدة المستديرة حول "مواجهة الجريمة الإرهابية والمقتضيات الوطنية"، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ٢٠١٩، ص ص ٣٩: ٤٢.

Incubating Environment and Conditions Conducive to Terrorism in Egypt

Hend Fouad

The study sheds light on the structural contexts and factors predisposing to the formation of an incubating environment for terrorist organizations, by identifying the concept of terrorism, extremism and violent extremism, the problems related to them, the extent of convergence and differences between them, who we call a terrorist, the terrorist's personal characteristics, and the nature and patterns of actors in the organizations. The study also monitored the mechanisms of attracting these organizations to new elements, and analyzed the most important factors preparing for the formation of the incubating environment for these organizations within the Egyptian society, taking into account the local context and the specificity of the Egyptian society in the formation of these groups.

The study concluded that all economic, ideological, social, cultural and media factors, intersecting with the political factors contributed to the formation of terrorist groups and organizations within the Egyptian society.